الأهرام

● المقاومة فى المقدمة والأيديولوجيات تتوارى
● الأهالى يمولون المقاومة من جيوبهم

محمد الصغير يقف بين أسرته يشير إلى مستقر إحدى القذائف الاسرائيلية ولم يكن أحد يدرى انه نفسه سيكون الهدف فى اليوم التالى، ويرقد الآن فى المستشفى بين الحياة والموت

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

ممثلة فى الجنوب، بشكل أو بآخر ولكن بفعل المقاومة، لا يوجد صدام فكرى عنيف بين هذه التيارات حالة من التسامح الفكرى يعيشها أهل الجنوب، تتوارى الانتماءات السياسية تنتفى الخلافات الأيديولوجية أمام القضية الأهم زوال الاحتلال وربما لهذا تنشط فى الجنوب حركة كبيرة للمستقلين.

ولكن بالضرورة حزب الله له موقع معنوى خاص لدى أهالى الجنوب وكل اللبنانيين، لأنه أملنا فى الدفاع عن الوطن.

ونحن نعتز بأننا حلفاء حزب الله وأيدناه فى الانتخابات المحلية.

كيف لا نثق فيمن يضحى بحياته من أجل الحفاظ على أرض وهوية هذا الوطن؟

– لاحظت عند وصولى إلى الجنوب أن المحلات ليست مغلقة رغم أن اليوم هو الأحد العطلة الرسمية فى لبنان، هل الجنوب يعيش حياة مختلفة عن باقى لبنان، بمعنى آخر هل حزب الله يحكم الجنوب بأسلوب الاسلامى؟

د. مصطفى بدر الدين: ليس صحيحا أن حزب الله يحكم الجنوب..

من بين ٢١ فى المجلس المحلى أربعة أعضاء ينتمون لحزب الله، والتيار المستقل هو الغالب فى المجلس، وأنا انتمى إليه، وإن كنا متحالفين مع حزب الله وحركة أمل ممثلة بـ ٣ أشخاص.

أما بالنسبة ليوم الأجازة، الأحد هو

العطلة الرسمية، ولكن الناس بشكل تلقائى تأخذ يوم الجمعة عطلة نصف يوم.. ارتباطا بصلاة الجمعة، وهى مسألة تخضع للحرية الشخصية، والمحلات التجارية لا تلتزم بالأجازات الرسمية، أما المدارس والمصالح تغلق يوم الأحد.

– شغل ذهنى الصراع الطائفى القديم فى لبنان، وكيف يكون فى الجنوب المقاوم؟

· عدد المسيحيين فى النبطية – والحديث للدكتور مصطفى بدر الدين – ١٢ ألف نسمة، ومن بينهم بيوت عريقة، مثل بيت الخورى وبيت الصانع.. وغيرهما.. من الذين أثروا فى تكوين المواطن الجنوبى وثقافته وهويته، ولدينا كنيسة النبطية احدى الكنائس المهمة والمشهورة فى لبنان وهناك شوارع بالكامل من النصارى، ولكن لا نشعر هذه الحالة الطائفية التى عانينا منها فى الماضى فى لبنان، المقاومة وحدت المشاعر لقد حصلت على كل أصوات النصارى فى انتخابات البلدية بالرغم من انتمائى إلى لائحة حليفة لحزب الله.

يقول محمد عبيد: حاولت اسرائيل إزكاء روح الفتنة الطائفية فى الجنوب، وربما تذكروا محاولات سمير جعجع، عندما انسحبت اسرائيل من شرق صيدا الذى تسكن أغلبية مسيحية إلا أن الوعى الوطنى بالجنوب أعلى من كل هذه المحاولات، وانتصر المسيحيون والمسلمون على هذه المحاولة، أيضا انسحبت اسرائيل من جزين التى يقطنها المسيحيون أيضا، ولكن لم تقع أى أحداث طائفية.

مرة أخرى يعيش أهالى الجنوب فزع عمليات القصف المتواصلة المتكررة، هذا الشارع الذى يمتلىء بالحياة والبيع والشراء فور أن يستمع الناس إلى صوت القذائف الاسرائيلية يخلو من كل شئ ربما فى أقل من خمس دقائق تغلق المحلات، ويلجأ الناس للمخابئ، ومن كثرة ما تمرسوا على هذه المسألة فهى تتم فى هدوء وبسرعة البرق – كما يقول د. مصطفى – وبعد أن ينتهى القصف يعودون إلى الحياة وكأن شيئا لم يكن.

– كونك طبيبا، ملاحظاتك على أهالى الجنوب، ما هى آثار هذه الحياة القاسية عليهم؟

نفسية المواطن الجنوبى مليئة بالتراكمات المأساوية نتيجة لهذه الأوضاع ماذا تتوقعين نفسية «جارى» الذى خرج إلى النهر ليتنزه مع ابنه ٤ سنوات ووجد لعبة فى الأرض، أمسك بها، فإذا بها لغم ينفجر فيه أمام أعين والده أو أم كانت تنتظر عودة طفلها من المدرسة فإذا بالقصف يحصد كل من فى السيارة المدرسية؟ فى الجنوب إما فقدنا آباء أو

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

أمهات أو أبناء أو إخوة أو أصدقاء أو جيران، قلنا اعتصر قلوبنا الحزن .

تولد لدى الأهالى فزع على الأطفال بشكل خاص، جعل حياتهم غير طبيعية فى ظل رقابة مشددة من الأسرة على تحركاتهم.

هذا لا ينفى أن هناك ايجابيات لهذا الوضع الصعب. أطفال الجنوب منفتحون على العالم، لأنهم جزء من أحداثه، وعيهم السياسى أكبر بكثير من أقرانهم، أيضا جيل المقاومة والذى يرى أنها خلاصه الوحيد.

على خط التماس

المشهد الرابع :

«زوطر الغربية» على خط التماس مع الشريط الحدودى المحتل زوطر قطعة من الجنة، جبال خضراء وسماء مفتوحة، ونهر الليطانى يسبح بين جنبات الجبال.

حبيب ياغى رئيس بلدية زوطر الغربية (١٦٠٠ نسمة) قال إن عدد شهدائنا ٦٠ خلال عمليات القصف الاسرائيلية المتواصلة على هذه البلدة.

رغم الأحزان، تعتبرهم قربانا للأرض التى نصر على استردادها كاملة من العدو الصهيونى مهما طال الزمان.

بيت حبيب ياغى يقع على طرف البلدة، لا يفصل بينه وبين المناطق المحتلة سوى النهر، ومن فوق السطح شاهدت الثكنات الاسرائيلية.

قال حبيب ياغى لم يعد اسرائيلى يجرؤ

أن يطل برأسه من بين هذه الدشم، المقاومة أفزعتهم، الجندى الاسرائيلى مرعوب، فى الماضى قبل أن تشتد المقاومة كانوا يتنزهون أمامنا.. الله يخلى المقاومة.

يستطرد: لدى أرض أمتلكها ضمن زمام الأرض المحتلة، أشتاق كثيرا إليها، ولكن أعلم أنها ستعود يوما، حتى باقى الأرض التى هى فى زمام زوطر غير المحتلة، أحرقوا زرعها.

اصطحبنى لأنظر على شجر الزيتون المحترق، قال بحسرة تعب وشقى سنين، لكن لن أغادر الأرض أبدا، طوال هذه السنوات لم أغادرها إلا ثلاثة أيام اشتد فيها القصف، وكان معظم الأهالى هاجروا منها.

من يعيش فى الجنوب لا يستطيع أن يسكن المدن، هنا الطبيعة الرحبة النقاء الجمال، العمر واحد والرب واحد، بيتى هذا أصيب بثلاث قذائف، من بينها واحدة مرت من فوق السرير فى حجرة النوم.

أيام كثيرة نقضيها بدون كهرباء بدون مياه، ومع حظر تجول أبنائى رسبوا فى دراستهم بسبب هذه الحالة اللا إنسانية الى نعيشها.

أهالى زوطر يعيشون حياة صعبة قاسية لأنهم يعتمدون على الزراعة، واسرائيل لا تكتفى بما تفعله، بل تتعمد حرق زراعتنا بوسائل خاصة، تنتظر حتى نفلح ونثمر وننفق كل ما فى جيوبنا ونستدين، ثم تحرق الأرض زراعات مهمة إنقرضت مثل التبغ، أيضا

الناس اضطرت لبيع المواشى، لأننا لا نستطيع أن نخرج بها للرعى.

قسم من أهالى زوطر هاجروا والقسم الثانى حمل السلاح للمقاومة لدينا مقاتلون كثر من غير حزب الله، يقاتلون إلى جانبه.. اسرائيل لديها مطامع فى أرض الجنوب، تحتل مواقع بها ينابيع مياه وأخرى تحتل على نهر الليطانى، ولا أتصور أن قرار الانسحاب الاحادى ستنفذه اسرائيل كما ينبغى، بل ستحاول الاحتفاظ بهذه المواقع.

أثناء الحديث سمعنا صوت قصف، قال حبيب ياغى منذ انتهكوا اتفاق ابريل وهم يضربون كل يوم أثناء وجود وزراء الخارجية العرب ضربوا ترانس كهرباء، وقصفوا جبل الرفايع، ومنطقة عرب سليم.

باللهجة اللبنانى قال ياغى: بدهم ينسحبوا ينقبروا، لكن ما بنعمل كونتراتو.. لن نترك لهم زاوية من الأرض اللبنانية.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

المأساة اسمها المنصورى

المشهد الخامس:

ونحن نغادر «زوطر» بدأت الشمس فى الغروب، الجبال تحتضن القرص الأحمر الذى يختفى وسط الخضرة الكثيفة، يذهب النور، ويأتى الليل، وبالرغم من أن الجنوب يزداد جمالا فى الليل، إلا أن المساء يعنى شيئاً آخر لأهالى الجنوب، جرت العادة أن معظم عمليات القصف الاسرائيلى تتم فى المساء وهذا لا يعنى أنها تمتنع عن الضرب فى الصباح، الشوارع تخلو من المارة تقريبا ونحن فى طريقنا إلى «المنصورى» آخر محطاتى فى الجنوب وأصعبها وأقساها أوقفتنا نقاط تفتيش ربما كل مائتى متر على الأكثر بعضها يخضع للجيش اللبنانى، وأغلبيتها تتبع القوات الدولية، يطل علينا بعض الجنود الأفارقة يسألون بعربية مكسرة، إلى أين؟ وهل ستظلون فى البلدة أم ستعودون؟ وعند من ستقضون وقتكم؟ حالة من التوتر تسود المنطقة، منذ خرق اتفاق نيسان فبراير الماضى وهذه البلدة تتعرض للقصف يوما بعد الآخر، آخرها كانت قبل ثلاثة أيام..

على الطريق خمس سيارات محترقة بالكامل من جراء القصف الأخير.

أخيرا وصلنا إلى محطة بنزين الزعنى، تلك المحطة التى تعرضت للقصف، محطة صغيرة فقيرة فوقها منزل يتكون من طابق واحد فى مواجهتها على الناحية الأخرى، الأرض التى تحتلها اسرائيل، وثكناتها بشكل واضح.

استقبلنا صاحب المحطة شاب فى الثلاثين من عمره يوسف الزعبى وزوجته الشابة الجميلة «بتول» أسرة صغيرة بسيطة، من فرط مشاعرهم الطيبة، تشعر وكأنك واحد من أهلهم حكوا لى كيف تعرض منزلهم والمحطة للقصف الاسرائيلى الأخير، وتقول بتول حمدت الله أن الأولاد كانوا فى المدارس أما نحن، هرعنا إلى المخبأ تحت المحطة، وظل القصف لفترة طويلة، وأنا أحتضن أطفال أولاد شقيق زوجى الذين ظلوا يصرخون من الفزع.

ويقول يوسف، بعد ما انتهى القصف صعدنا، وجدنا بعض القذائف اخترقت الجدار، وزجاج المنزل بالكامل تهشم، وحمدنا ربنا أن السيارات الخمس التى احترقت بجوار المحطة لم تكن ملاصقة لها. ولكن صديقنا جارنا فى المحل المجاور أصيب بشظية فى قدميه.

قالت «بتول» ردا على استغرابى لأنها تستطيع العيش مع أطفالها تحت نيران هذا القصف.. ما باليد حيلة، هذا بيتى وأرضى ولقمة عيشنا إلى أين سنذهب؟ أخوتى هاجروا إلى ألمانيا، وأشقاء زوجى فى أمريكا، وكلنا ما بنريد نترك أرضنا، احنا بندفع ثمن غالى، ما أعتقد أن أحدا يعرف كيف يعيش أهالى الجنوب، نفرض على أنفسنا حظر تجول منذ الثالثة عصرا، لا نعرف السهرات والحفلات، ولا حتى الزيارات الاجتماعية، أطفالى يعانون من الخوف، كثيرا ما يترك ابنى الوحيد سريره ويأتى لينام إلى جوارى لأنه حلم بالقصف ابنتى ذات العاشرة تتبول على نفسها من الخوف. علىّ أيضا أن أقوم بتخزين كل المواد التموينية، لأن أيام القصف لا يجرؤ أحد أن يغادر بيته.. جارتى أصيبت فى كتفها فى هذا القصف الأخير، نحن لا ننام منذ جاءنا القصف.. تعلمنا كيف ننام واعين.

يكمل يوسف الزعنى كلامه نحن نعيش على مرمى حجر منهم، أو تحت أيديهم مثل ما بيقولوا هذا بخلاف ظروفنا الاقتصادية الصعبة، لا أحد يأتى لهذه المنطقة إلا مضطرا، ومن ثم لا حركة على محطة البنزين، كانت مواسم الحصاد تنعشنا اقتصاديا، الليمون على الشجر لا يجرؤ أحد على حصده . فاطمة وعبير ومحمد أطفال فى عمر الزهور عبير ذات العشر سنوات، تقول لى إنها عندما تسمع صوت القصف تصرخ وتجرى إلى أمها..

محمد الصغير، يقول لى لازم الصهاينة يرحلوا من هنا، لو معى بندقية (ينقض عليهم، محمد ذو البشرة البيضاء، والوجه الملائكى لم يتركنا طوال وجودنا فى منزلهم، أصر على أن أشرب القهوة، وأن يأخذنى لأرى كيف اخترقت القذائف جدار المنزل فوق الثلاجة أو البراد كما يقول هذا هو محمد الذى يرقد الآن فى المستشفى يصارع الموت.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

قال لي على الهاتف حسن خشاب صديق الأسرة إن محمد أصابته في اليوم التالى لزيارتى قذيفة اسرائيلية مزقت الطحال والمعدة ومناطق أخرى من جسده النحيل الصغير، كان والده يوسف الزعنى يحمله هربا من القصف إلى المخبأ، فجاءتهما القذيفة، حسن خشاب قال لى إن يوسف يصرخ فى المستشفى من جراء ما حدث لولده الوحيد، يقول له لتأتى الصحفية لترى بعينها ما حدث لابنى الذى كان يركض حولها بالأمس، لتفضح وحشية هؤلاء الصهاينة أمام العالم.

تحدثت إلى حسين الزعنى والذى فقد ابنه ذا الستة عشر عاما من جراء هذا القصف الأخير، قال لى اكتبى أن اسرائيل تضرب «المنصورى» التى ليس فيها معاقل لحزب الله، والتى لم تخرج من أرضها عملية مقاومة واحدة لأنها ببساطة أرض مكشوفة للاسرائيليين إنها تضرب المدنيين عامدة متعمدة، قتلت ابنى الشاب دون أى جريرة والله يبقى لنا محمد ويشفيه.

المشهد الأخير:

أكتب هذه الكلمات ومازال محمد يرقد فى المستشفى والأسرة كلها تعانى من جروح بسبب القصف، وجروح نفسية بفعل هوان الانسان على عالم اليوم.

كم استسخفت المهمة التى كنت فيها فى لبنان تغطية مؤتمر وزراء الخارجية العرب.. الذين اتخذوا قرارات أقل بكثير مما ينبغى ولم يكترثوا للرد الاسرائيلى على اجتماعهم بضرب وقصف المدنيين وهم مازالوا بعد فى بيروت ونفضوا أيديهم، واعتبروا أنهم أدوا ما عليهم بنصرة الشعب اللبنانى بالذهاب إلى بيروت وكفى وذهبوا لقضاء عطلة العيد.. وليبقى أهالى الجنوب تحت نيران القصف، ولتبقى المقاومة اللبنانية الشرف الوحيد لهذه الأمة فى هذه الأيام لتضع هى المشهد الأخير.

نجوان عبد اللطيف

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية